# أما بعد



عائض بن عبد الله القرني



دار الوطن للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

أمـــا بعـــد ..!

الحمد لله:

أحمده تعالى على جزيل إنعامه وإفْضاله ، وأشكره على جليل إحسانه ونواله ، وله الحمدُ على أسمائهِ الحسنى وصفاتِ كمالهِ ونعوتِ جلاله ، وله الحمدُ على عُدله قدَراً وشرعاً ، وله الحمدُ في الآخرةِ والأولى وهو الحكيمُ الخبير ، وأشهد أن لا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له الملِكُ الحقُّ العليُّ الكبير ، تعالى في ألوهيته وربوبيتهِ عن الشريكِ والوزيرِ ، وتقدّسَ في أحَدِيَّتِه وصَمَدِيتِه عن الصاحبةِ والولدِ والوليِّ والنصير ، وتنزَّه في صفاتِ كمالهِ ونعوتِ جلالِه عن الكُفء والنظير، وعزَّ في سلطانِ قهره وكمالِ قدره عن المُنازِع والمُغالبِ والمُعينِ والمُشيرِ ، وجلَّ في بقائه وغِنَاهُ عن المُطعِمِ والمُجير ، فسبحانه ما أعظمَه وأحلمَه، وما أجَّله وأكملَه ، عليه توكلتُ وإليه أُنيبُ ، وهو حسبي ونعم الوكيل.

من أيـن أبدأ والمحامـد كلهـا لك يا مهيمن يا مصوُر يا صمَدْ
احترتُ في أبهى المعاني أن تفي بجلال قدرك فاعتذرتُ ولم أزدْ

الحمد للهِ على جزيلِ العطاء ، مسدِي النَّعماء ، كاشفِ الضـرَّاء ، معطي السـراء.

الحمد لله عالمِ السرِّ والجهر ، الحمد لله عاليْ القهرِ والقدْر ، الحمد لله المتكفل بالأقوات ، المدعوِّ عند المدلهِمَّات ، المطلوبِ عند كشْفِ الكربات ، المرجوِّ في الأزمات.

الحمد لله على كل نعمةٍ أنعم بها ، وعلى كل بليَّةٍ صرَفَها ، وعلى كلِّ أمرٍ يسَّره ، وعلى كل قضاءٍ قدَّره ، وكل مكروهٍ كفاه ، وكلِّ حادثٍ لطَف فيه.

الحمد لله كم أعطى من النعيم ، كم مَنَح من الخير العميم ، كم تفضَّل به من النوال الجسيم ، عمَّت نعمُه ، انصرفتْ نقمُه ، تضاعف كرمُه.

الحمد لله على تمام المِنة ، الحمد لله بالكتاب والسنة ، الحمد لله على نعمةِ الإسلام ، وتواتر الإنعام ، توالتْ أفضالُه ، عمَّ نوالُه ، حَسُنتْ أفعالُه ، تمَّتْ أقوالُه الحمد لله مُوْلِي الجميل ، واهبُ العطاءِ الجزيل ، شافي العليل ، المُباركُ في القليل ، أجودُ مَنْ أعطى ، وأصدقُ من أوفى.

يا غافلاً عن إلهِ الكون يا لاهي تعيش عمرك كالحيران كالساهي
ارجعْ إلى اللهِ واقصدْ بابه كرماً واللهِ واللهِ لا تلقـى سـوى الله

مَنْ قبِله فهو المقبول ، مَنْ حاربه فهو المخذول ، مَنْ التجأ إليه عزَّ ، مَنْ توَكَّل عليه كفاه ، مَنْ أطاعه تولاه ، مَنْ نازعه قصَمه ، مَنْ بارزه حَطَمه ، مَنْ أشرك به أحرقه ، مَنْ نادَّه مزَّقه.

فو اللهِ لوصُغْنا من الدمع قصةً وصـارَ كتابُ الحـبِّ بالـدمِ يُكتـبُ
وسِرْنا على الأجفانِ نمشي محبةً على النارِ نُشوى أو على الجمرِ نُسحبُ
لما بـلغـت ما تستحق جهـودنا فكل ولو نـال المشقـة مـذنـب

وأشهد أن محمداً رسولُ الله ، النبيُّ الخاتم ، والإمامُ المعصوم ، والأسوةُ الحسنة ، والقدوةُ المثلى ، شَرَفُ الحواضرِ والبوادي ، وزينةُ النوادي ، أعظم هادي ، وأفضل حادي:

يا طريـداً مـلأ الدنيا اسمُه وغدا لحنـاً على كلِّ الشِّفـاه
وغـدتْ سيـرتُه أسـطورةً يتلقَّـاهـا رواةٌ عـن رواه
ليت شعري هل درى مَنْ طاردوا عابـدوا اللاتِ وأتبـاعُ منـاه
هل درتْ مَنْ طـاردته أُمــةُ هُبَـلٌ معبودُها شاهـتْ وشـاه

أما بعد:
فعنوان محاضرتي .. (أما بعد) ..
وأما بعد .. وأما قبل ، فلله الأمرُ من قبلُ ومن بعد ، ليس لنا من الأمر شيء ، وليس لنا مع قدرتهِ حَوْل ، وما عندنا ، لأمره ردُّ ، وما لنا لقضائه حيلة ، وما لدينا مع قدَره تدبير ، هو الفعَّالُ لما يريد ، ونحن العبيد ، إن تشرَّفْنا فالطينُ أصلُنا ، وإن افتخرنا فالترابُ مردُّنا ، وما لمن خُلِق من ماءٍ مهينٍ أن يشمخَ بأنفِه، أو يزهوَ بعلمه ، أو يُعجبَ برأيه:

يا أنتَ يا أحسنَ الأسماءِ في خَلَدي ماذا أُعرِّفُ من مَتْنٍ ومن سَندِ
تَقاصرَتْ كلُّها الأوصافُ عندكمُ لمَّا سَمِعْنا ثناءَ الواحدِ الأحدِ
واللهِ لو أنَّ أقلامَ الورى بُريت مِن العروق لمدح السيدِ الصّمدِ
لم نبلغ العُشرَ مما يستحقُّ ولا عُشرَ العشيرِ وهذا غايةُ الأمدِ

يا ربِّ ، يا حيُّ ، يا قيومُ ، يا لطيفُ ، أنت الكاملُ وأنا الناقص ، أنت الغنيُّ وأنا الفقير ، أنت القويُّ وأنا الضعيف ، أنت الحيُّ وأنا الميت .. أصابعُ الذنوبِ تشير إلى الغفار . ألسنةُ الفقرِ تدعو الغنيَّ . أكفُّ الضعفِ تُرفع للقوي.
الميتُ يمدحُ الحيَّ القيوم.
الغريقُ يُنادي: يا ذا الجلال والإكرام.
الكلماتُ والإشاراتُ عاجزات.
البيانُ والبلاغةُ والتعبيرُ تُعلن التقصير.
لا يعلم ما يستحقُّ إلاَّ هو.
لا يحيطُ بعلمِه سواه.
لا يقدِّرُه قدْرُه إلاَّ إياه.
لا يحسن الثناء عليه غيُره.
إن قدَّسْتُهُ أو سبَّحْتُه أو مجّدْتُه فهو الذي علّمني. إن حَمِدْتُه أو كبَّرْتُه أو وحَّدتُه فهو الذي ألهمني. إن عَبَدتُه أو شَكَرْتُه أو ذكَرْتُه فهو الذي أكرمني.
صفاتُ المدح في الكاملين ذرَّةٌ من كماله ، نعوتُ الفضلِ في الأبرار نفحةٌ من أفضاله ، ألسنةُ المادحين وأقلامُ الواصفين حائرةٌ في جلاله ، من أنا حتى أمدحَه؟ مَنْ أنا حتى أُمجِّده؟ مَنْ أنا حتى أُثنيَ عليه؟ أنا الذي خُلِقَ من ترابٍ أصِفُ الملكَ الوهّاب! أنا الذي صُوِّر من طينٍ أذكر جلالَ ربِّ العالمين؟!
إنَّ الخَجَلَ يملأُ فؤادَ مَنْ خلق من ماءٍ مهينٍ ، إذا قام يشدو بأوصافِ أحكم الحاكمين ، اللهمَّ إنَّ أشرفَ تاج أحملُهُ تمريغُ أنفي على التراب لجلالك ، اللهم إنَّ أعظمَ وسامٍ أحملُه وضعُ جبهتي على الأرض لعبوديتِك.
أنا الظالمُ لنفسِه المعترفُ بتقصيره ، المقرُّ بذنبه ، أنت الجوادُ الماجدُ الغنيُّ الحميدُ ، عزَّ جاهُك ، وجلَّ ثناؤك ، وتقدَّست أسماؤك. ولا إله غيرك.

قد كنت أشفقُ من دمعي على بصري فاليومَ كلُّ عزيزٍ بعدكم هانا

يا الله سجدَ وجهي لك ، يا الله خشع سمعي وبصري لك ، يا الله رَغِم أنفي لك ، يا الله ذلَّتْ رقبتي لك ، يا الله وَجِل قلبي منك ، يا الله اتجهتْ نفسي إليك ، يا الله حَسُنَ ظني فيك ، يا الله طابَ الحديثُ عنك ، يا الله كمل التوكل عليك.

إليك وإلاَّ لا تُشَدُّ الركائبُ ومنك وإلا فالمؤمِّل خائبُ
وفيك وإلا فالغرامُ مضيَّعٌ وعنك وإلا فالمحدِّثُ كاذبُ

أما بعد:
فقد وقفتُ عشرا ، واستفدتُ عشراً.
استفدت عشراً:
أولها: اللجوءُ إلى الله في المُلِمَّات ، وقصدُه في الكُرُبات ، وسؤالُه في الأزمات.
ثانيها: أنَّ مع العسر يسراً ، ومع الكربِ فرجاً ، ومع الضيق سعةً ، وبعد الشدةِ رخاء.
ثالثُها: أنه ليس لك في المصاعبِ إلا الله ، وما لكَ عند الدواهي إلا الله . وما معك في الخطوبِ إلا الله (أمن يجيب المضطرَ إذا دعاه).
رابعُها: أن العلماءَ يصيبون ويخطئون ، والدعاةَ يُحسِنون ويغلطُون ، والمصلحون يُسدّدون ويعثُرون إلا محمداً صلى الله عليه وسلم ، فهو المصيبُ بلا خطأ ، والمسدَّد بلا غَلَط ، والمصلِحُ بلا عثرة (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحيٌ يوحى).
خامسُها: أن الكتبَ تعرِفُ منها وتُنكر ، وتَقبلُ وتَرُد ، وتوافِقُ وتخالف ، إلا الوحيَ كتاباً وسنة ، ففيه الصحةُ كلُّها ، والصوابُ أجمعُه ، والحقُّ أتمُّه وأكملُه ، والعدلُ أولُه وآخرُه.
سادسُها: أنه ليس لأحدٍ أن يدعيَ أنه المخوَّلُ وحدَه لنصرِ الدين ، ولا التكلم باسمه، فدينُ الله منصورٌ ، شاءَ مَنْ شاءَ ، وأبى مَنْ أبى (فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين). نَصَرَه محمدٌ العربي ، وسلمانُ الفارسي، وصهيبٌ الرومي ، وبلالٌ الحبشي ، وصلاحُ الدينِ الكردي ، ونورُ الدين التركماني ، وإقبالُ الهندي.
سابعُها: أنَّ الرفقَ هو الطريقُ الأمثلُ للدعوة ، وأنَّ الكلمة اللينةَ هي السحرُ الحلال، وأن الأسلوبَ السهلَ هو مصيدة الرجال.
ثامنُها: أن غالبَ محاضراتِ الدعاةِ وندواتِ العلماءِ حَسَنٌ وصواب ، وحقٌّ وعدل، والقليلَ النادرَ غلطٌ وخطأ ، لعنصرِ البشرية ، وضعفِ الإنسانية ، وانتفاءِ العصمة ، وانقطاع الوحي.
تاسعُها: وجدتُ أن الأمة لا يشفي عليلها ولا يروي غليلها مقطوعةٌ من فنان ، ولا طرْحٌ من علماني ، ولا هُيامٌ من شاعر ، ولا خيالٌ من فيلسوف ، إنما يحييها ، ويرفعُها ، ميراثٌ من نبوة ، وتَرِكةٌ من رسالة ، وأثارةٌ من وحي: (فأما الزبد فيذهب جفاءاً وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض).
عاشرُها: وجدتُ أنَّ الأمة قد تكون غيرَ منتجةٍ ، ولا مخترعةٍ ، ولا مكتشفةٍ ، ولا مصنِّعة ، ولكنها لا تعيشُ بلا إيمان ، ولا تحيا بلا رسالة ، ولا تشرُفُ بلا منهج: (أوَ من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس).
تلك عشرة كاملة .. أهديها لمحبِّ النصح ، وعاشقِ الفضيلة وطلابِ الحقيقةِ ، وشُداةِ الإصلاح ، وروَّادِ المعرفة: (إنْ أُريدُ إلا الإصلاحَ ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب).

دَعْها كما شاءها الرحمنُ جارية الله يحفظُهــا والله يرعاهــا
لها من الوحي نورٌ تستضيءُ به وبهجةُ الغارِ تبـدو في محيَّاها أما بعد:
فهذه عشرُ سنواتٍ طويلاتٍ قصيرات ، فيها حسناتٌ وسيئات ، ومضحكاتٌ ومبكياتٌ ، مَّرتْ بسرورِها وحزنِها ، ونعيمها وبؤسِها ، وغناها وفقرِها ، ولذَّتِها ومعاناتِها.
مرتْ سنـونٌ بالسعودِ وبالهنا فكأنـها مـن قِصْرِها أيـامُ
ثـم انثنتْ أيـامُ هجرٍ بعدها فكأنها مـن طُـولِها أعـوامُ
ثم انقضتْ تلك السنونُ وأهلُها فكـأنـها وكأنـهم أحـلامُ!
انتهت هذه العشر عندنا ، لكن ما انتهت عند الله (عِلْمُها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى).

أما بعد:
فإن الداعية ليس له حقل واحد لا يعمل إلا فيه ، بل حقولٌ متعددة ، وميادينُ مختلفة ، ومنابرُ شتى ، فالدعوةُ لا يحدُّها حدّ ، ولا يحصرُها حَصْر ، ولا يقيدُها قيد. إنَّ الدعوةَ تجري في دم الداعية ، يقولُها كلمةً ، ويصوغُها عبارةً ، ويُنشدُها قصيدةً ، ويدبِّجُها خطبةً ، وينقلُها فكرةً ، ويؤلفُها كتاباً ،ويلقيها محاضرة.
إنها قد تكون مع النفس في محاسبةٍ ومراقبة ، وتكون مع الأمّ براً وحناناً ، ومع الأبِ شفقةً ورحمة ، ومع الابن تربيةً وأدباً ، ومع الجار إحساناً وبراً ، ومع المسلمِ مصافاةً ومودة ، ومع الكافر دعوةً وحواراً.
فهذا إبراهيمُ الخليلُ يتلطفُ بأبيه (يا أبتي) ، وهذا نوح ينوح على ابنه: (يا بني اركب معنا) ، وهذا مؤمن آل فرعونَ يعطف على قومِه: (يا قومي). وهذا مؤمن آل ياسين ينادي وهو في الجنة: (يا ليت قومي يعلمون).
إن الدعوةَ همٌّ لازم ، وواجبٌ دائم ، فهي معك في السيارةِ ، وفي الطائرةِ، وفي السفينةِ ، وفي النادي ، وفي الجامعةِ ، والمزرعةِ ، والمتجر ..
قد تدعو بسيرتك أكثر من كلامك ، وتدعو بصفاتك أعظم من خُطَبك وتدعو بخُلُقِك أحسن من محاضرتك.
ليس للداعية وقوف ، سُجن يوسفُ فدعا في السجن ، وطُرد نوح فدعا في السفينة ، وحوصر محمدً فدعا في الشّعبِ ، وطُوِّق فدعا في الغار ، وطُرد فأنشأ دولة.
قيل لشيخ الإسلام ابن تيمية: قد أمر السلطانُ بنفيك إلى قبرص ، أو قتلِك أو سجنِك فقال: واللهِ إنَّ بي من الفرح والسرور ما لو قُسِّمَ على أهلِ الشامِ لوسعهم، والله إني كالغنمةِ ما تنامُ إلا على صوف ، إن نُفيتُ إلى قبرص دعوتُ أهلها إلى الإسلام ، وإن سجنت خلوتُ بعبادة ، ربي وإن قتلت فأنا شهيد:
روحي تحدثني بأنك متلفي نفسي فداك عرفت أم لم تعرف
ليس من المهم عند الداعية أن يكون له جمهورٌ حاشد ، أو حفلٌ بهيج ، أو مستمعون كُثر ، المهم أن يقولَ الحق ، وأن يأمرَ بالمعروف ، وأن ينهى عن المنكر ، وأن يحملَ الميثاقَ بأمانة ، ويبلِّغَ الشريعة بصدق.
(وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه)
بعضُ الأنبياء لم يستجبْ له أحد ، والبعضُ استجاب له واحدٌ أو اثنان ، والبعضُ جماعة ، وبعضُهم دعا عُمُرَه كلَّه ثم قُتل ولم يُطعْه بشر ، وأنبياءُ آخرون مكثوا السنينَ الطويلة يدعون ثم نُشروا بالمناشير!
سيِّدي علِّل الفؤادَ العليلا واحيني قبل أن تراني قتيلا
إن تكنْ عازماً على قتل روحي فترفقْ بها قليلاً قليلا!
إن الداعية ليس فناناً يداعبُ العواطف ، ويلعبُ بالمشاعر ، ويتَفقدُ مكامن التأثيرِ في الناس ، وليس شاعراً يخلبُ الألبابَ ، ويسافرُ مع الخيال ، ويهيم في أوديةِ الضلال ، وليس فيلسوفاً يقنِّنُ القوانين ، ويضربُ الأقيسة ، ويحدِّد المقدِّمات، ويخلُصُ إلى النتائج ، وليس سلطاناً يفرضُ كلمتَه ، ويؤدبُ رعيتَه ويحشدُ جنودَه ، ويرفعُ بنودَه ، وليس تاجراً يجمعُ الدراهمَ ، ويكنِزُ القناطيرَ المقنطرةَ ، ويرصدُ الشيكات ، ويضاربُ بالأسهم . الداعيةُ شيءٌ آخر! ..
إنه تابعُ لمحمدٍ - صلى الله عليه وسلم - ، ابنٌ بارٌّ لرعايته ، تلميذٌ نجيبٌ في مدرستِه ، طالبٌ متفوقٌ في جامعته. يسري حبُّ الله وحبُّ محمدٍ - صلى الله عليه وسلم - في دمه ، يُشعُّ في قلبه ، يُضيءُ طريقه ، يملأُ وجدانَه ، يُلهبُ ضميرَه.

الحبُّ ليس روايةً شرقيةً بأريجها يتزوج الأبطال
لكنه الإبحارُ دون سفينـة ومرادنا أن المحال محال
الداعيةُ ليس له إجازةٌ ، ولا انتدابٌ ، ولا مخصصَّاتٌ ، ولا عادات. الداعيةُ ليس له حفلُ مولد ، ولا مهرجاناتُ تخرج ، ولا حفلُ وداعٍ ، ولا مناسبةُ استقبال ، بل هو مع الأنبياء ، تلقاه على الرصيفِ ، وفي الدُّكانِ ، ومع أهلِ الحِرفَ ، مع النجارِ والخبازِ والنسَّاج ، والبنَّاء ، مع الناس باختلاف أذواقِهم وطبقاتِهم وألوانِهم وأجناسِهم ، داعياً للمِلِك والمملوك ، وللأميرِ والوزيـرِ ، وللكبيرِ والصغيرِ ، للذكر والأنثى ، للأبيض والأسود.
الداعيةُ باع نفسَه من الله ، فلا يُطالب ، ولا يُضارب ، لا يُعاتب ، ولا يُحاسب .. فاتورةُ تعبه مدفوعةٌ في الآخرة (ولسوف يعطيك ربُّك فترضى) ، شيكُ أُجْرتِه مصروفُ من بنك (يريدون وجهه) ، وسندُ أموالهِ موقَّعُ عليه (إنك تعلم ما نريد).
بعنا النفوسَ فلا خيار ببيعنا أعْظمْ بقومٍ بايعوا المختارا
فأعاضَنَا ثمَنَاً أجلَّ من المنى جناتِ عدنٍ تُتحِفُ الأبرارا
الداعيةُ لا ينتظرُ شهادةَ حسنِ سيرةٍ وسلوكٍ من البشر ، ولا نياشينَ يعلّقُها على صدره ، ولا نجومَ يضعُها على أكتافه ، ولا صورةَ ذكرى يرفعُها في مجلسِه. إنه يريد تاج (رضي الله عنهم ورضوا عنه) ، ويطمعُ في نجوم (يحبهم ويحبونـه) ، ويرغبُ في نياشين (الله ولي الذين آمنوا).
الداعيةُ لا يُعيَّن بقرارٍ جمهوري ، ولا بوثيقةٍ حكومية، ولا بانتخابٍ من الجمهور. الداعيةُ لا يأتي عن طريق صناديق الاقتراع ، ولا المجلس النيابي ، ولا الهيئةِ البرلمانية ، فهو فوقَ الكونجرس ، واللوردات ، والشيوخ. إنَّ الله عيَّنه ، والواحدَ الأحد هيَّأه ، والرحمنَ استأمنه (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ..).
الداعيةُ مولاه الله ، وإمامُه محمدٌ ، وبيته المسجد ، ومذكرتُه القرآن ، وزادُه التقوى ، وعصاه التوكل ، ولباسُه الزهد ، ومركبُه اليقين ، وطريقُه الهدى، ومرادُه الجنة (دعها فإن معها حذاءها وسقاءها ، ترد الماء وترعى الشجر).
أنا ربي اللهُ والدينُ أبي ورسولُ الله دوماً قدوتي
وليَ القرآنُ نورٌ ساطعٌ ولي الكعبة كانت قبلتي
الداعيةُ لا تتوقف دعوتُه مع التخرج من المدرسة الليلية ، ولا مكافحة الأمية ، ولا من الجامعة ، ولا من المجالس الفقهية ، ولا المجامع العلمية .. جامعةُ الداعية (ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله) ، وشهادتُه (بلغوا عني ولو آية) ووثيقةُ تخرجه (فاصدع بما تؤمر ..)
الداعيةُ لا ينتظر راتباً شهرياً ، ولا مكافأةً سنوية ، ولا إكراميةً مالية ، ولا هتافاً جماهيرياً ، ولا شكراً من الوزير ، ولا ترقيةً من الفريق ، ولا ثناءً من مدير المدرسة.
راتبُه: (ليوفيهم أجورهم).
مكافأتُه: (يبتغون فضلاً من الله ورضوانا).
إكراميتُه: (ادخلوها بسلام آمنين).
هتافُه: (لا إله إلا الله).
شكرُه: (سلام عليكم بما صبرتم).
ترقيتُه: (في مقعد صدق عند مليك مقتدر).
الداعيةُ لا تُرفع له أقواسُ النصر. ولا تُعلَّق صُورُه. ولا ينتظرُ قصائدَ مدحٍ وملحماتِ ثناء ، ومقاماتِ تبجيل.
أقواسُ نصره: (إنا فتحنا لك فتحاً مبينا).

صورُه المعلقة: (كتابٌ أحكمت آياته). وعبارات مديحه (قد أفلح المؤمنون)
مقاماتُ تبجيله: (وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين).

وثيقتي كُتبت في اللوح وانهمرت آياتها فاقرؤا يا قومُ قرآني
والوحيُ مدرستي الكبرى ، وغار حرا تاريخ عمري ، وميلادي ،وعرفاني

أما بعد:
فالداعيةُ رحيمٌ ، رفيقٌ ، قريبٌ ، حبيبٌ ، سهل ليِّنٌ ، صبورٌ شكور.
رحيمُ: لأن الراحمين يرحمهم الرحمن ، ولأن إمامَه - صلى الله عليه وسلم - رحمةٌ للعالمين ، فهو الذي يقول: (من لا يرحم لا يُرحم).
يقول أحد العلماء: (ينبغي إذا رأيت الكافر أن تتمنى إسلامه رحمةً به أن يدخل النار لأن من تمام النصح الشفقة بالخلق).
رفيقُ: لأن الله رفيقُ يحب الرفق ، ولأنه - صلى الله عليه وسلم - يقول (ما كان الرفق في شيء إلا زانه ، وما نُزع من شيء إلا شانه). والرفقُ يسهِّل الصِّعابَ ، ويقرب البعيدَ ، ويليِّنُ القاسيَ ، ويطوِّعُ العاصيَ ، ويجذبُ القلوب.
قريبٌ: فهو يدنو من النفوس ، ويقتربُ من القلوب ، ويتواضعُ لزملائه ، ولا يفاخرُ أبناء جنسِه ، ولا يشْمَخُ بأنفه ، ولا تُعجبُه نفسُه ، ولا يزدري أحداً ، ولا يحتقرُ بشراً ، ولا يتهكم بمخلوق (واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين).
حبيبٌ تحبُّه القلوب ، ترتاحُ له الأنفس ، تأنَسُ بحضوره الناس ، تَهَشُ لقدومه الأرواح ، تفرحُ بحضوره الجموع ، تعشقُ لقاءَه الأجيال ، تدعو له الأمةُ بظهر الغيب (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا).
يقول أحدُ الفضلاء: (إذا سافرتَ ولم يبكِ عليك أصحابُك فراجْع أخلاقك)
سهلُ ليِّن: فهو كمعلِّمه الأول - صلى الله عليه وسلم - ، سهلُ في كلامه فلا يتفيهقُ ، ولا يتعمَّقُ ، ولا يتشدقُ ، ولا يتكلفُ ، ولا يتنطعُ ، ولا يزخرفُ ، سهلُ في أفعاله فلا يكلّفُ الناسَ شططاً ، ولا يحمِّلُهم عبئاً ، ولا يجشِّمُهم مشقة.
صبورُ: على الملماتِ ، وعلى الأزماتِ ، وعلى الكرباتِ ، وعلى الفواجع ، وعلى الحوادثِ ، وعلى الكوارثِ ، يجوعُ فيصبْر ، يُسبُّ فيصبْر ، يُجلد فيصبْر ، يُحبس فيصبْر ، يبُكَّتُ فيصبْر ، يُكّذبُ فيصبْر ، يؤذى فيصبْر ، أما نوح فازدجرْ ، وأما صالحٌ فقيل له: كذابٌ أشرْ ، وأما هود فقُهر ، وأما زكريا فنشر ، وأما يحيى (فنحر...)، وأما موسى فضاق به المفر ، وأما عيسى فافتقر ، وأما محمد فابتلي فصبر وأعطي فشكر (واصبر وما صبرك إلا بالله). (فاصبر صبراً جميلا). (واصبر على ما يقولون). (فاصفح الصفح الجميل). (واهجرهم هجراً جميلاً). (فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر). (والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس). (ادفع بالتي هي أحسن).
شكور: على النعمة ، يُعطى فيشكر ، يُسدَّد فيشكر ، يُفتح عليه فيشكر ، يأكل فيشكر ، يلبس فيشكر ، ينام فيشكر ، يصح فيشكر ، يمرض فيشكر ، يعافى فيشكر ، يُبتلى فيشكر ، يغتني فيشكر ، يفتقر فيشكر. (وسنجزي الشاكرين) (اعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادي الشكور) ، (إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور) ، (لئن شكرتم لأزيدنكم).
لك الحمد يا رحمان ما هل صيب وما تاب يا من يقبل التوب مذنبُ
لك الحمد ما هاج الغرام وما همى الغمام وما غنى الحمام المطربُ

أما بعد:
فإن الداعية يعلم أن الحياة ليست فرصة لتقلد منصب ، ولا الظفر بأمارة ، ولا العثور على وزارة ، ولا جمع تجارة ، ولا التشرف بسفارة ، وليست الحياة عنده متعة ، يقضيها في اللهو واللعب ، فليس عنده إجازة يقضيها على ضفاف اللوّار ، ولا في قمم الهملايا ، ولا عند شلالات نياجرا ، ولا في أبراج كوالالمبور، ولا في حضور عيد الأم ، وليس عند الداعية أرصدة في البنوك الربوية ، وليس له هم في مراقبة البورصة العالمية ، ولا الاهتمام بأسواق الذهبأو بأسعار البترول ، فكنوزه وماله وغناه ومستقبله في جنات تجري من تحتها الأنهار ، فلا يُبهجه إلا (متكئين على فرش بطائنها من إستبرق).
ولا يفرحه إلا (تعرف في وجوههم نضرة النعيم).
ولا يسره إلا (يُسقون من رحيم مختوم).
ولا يُسعده إلا ( كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية).
ولا يُطربه إلا (حور مقصورات في الخيام).
ولا يُنعشه إلا (وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملكاً كبيراً)
الداعية ليس له سهرٌ مع (ألف ليلة وليلة) ، ولا أنسٌ مع (أبي نواس) ، ولا خلوةٌ مع (بدائع الزهور) ، ولا توثيقٌ من (الزير سالم) ، ولا سندٌ من (شمس المعارف).
سهرُه: مع صحيح البخاري.
أنسه: مع ابن تيمية.
خلوتُه: مع رياض الصالحين.
توثيقه: من يحيى بن معين.
سنده: من سفيان الثوري.
هيهات رحلةٌ مسرانا جحافلنا كما عهدت وعزمـات الـورى أُنُـفُ
في كفك الشهم مـن حبل الهدى طـرف على الصراط وفي أرواحنا طرفُ
الداعية لا يفتخر بصداقة المشاهير ، ونجوم الكرة ، ونجوم الفن ، وكواكب المسرح ، والساسة العمالقة ، والفلاسفة العباقرة ، ورموز الثقافة ، فله صداقات ومودات مع نـوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد - صلـوات الله وسلامه عليهم - ، وله علاقة بأبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، وله اتصال بأبي حنيفة ، ومالك ، والشافعي ، وأحمد بن حنبل.
الداعية ليس منهمكا في زوايا الغرام ، ولا مع قصاصات الهيام ، ولا مع آهات الهجر ، وزفرات الجوى ، وأوجاع العيون السود ...
زفراته: من (كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها).
وآهاته: من (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها).
وأوجاعه: من (يا ليتها كانت القاضية. ما أغنى عني ماليه. هلك عني سلطانيه).

أما بعد:
فإن الداعية تتقلب به الأيام ، وتتغاير عليه الليالي ، وتختلف عليه الساعات، وتتعاقب عليه السنون ، رضىً وغضب ، سرور وحزن ، شبع وجوع ، منبر وحبس ، شكر وسبّ ، إقبال وإدبار ، منحه ومحنة ، عطية وبلية ، أمل وألم ، وهو مع ذلك عبد لله ، ينزل مع القرآن أينما نزل ، ويهبط مع الوحي أينما هبط ، ويسافر مع الرسالة أينما سافرت ، ويرتحل مع الحق أينما ارتحل. يصلي في القصر وفي الحبس ، في الجامعة والمزرعة ، وفي الحاضرة والبادية ، يسبِّح في النادي والملعب ، ويكبِّر في المسجد والسوق ..

الداعية عنده شهادةُ أكبر من شهادات الأرض ، ولديه وثيقة أعظم من وثائق المعمورة (إياك نعبد وإياك نستعين) وعنده تزكية أجل من كل تزكية (وإن جندنا لهم الغالبون).
أيها الداعـي الذي عَبّدَ الله طريـق النجـاةِ فيك قويـمُ
أدعياءُ الضلال سحّارُ فرعون .. وأنت العصى وأنت الكليمُ
أما بعد :
فقد قرأت عشرات المجلدات والمصنفات والمؤلفات ، فما وجدت كالقرآن حسناً وجمالاً ، بهجة ونضرة ، قوة وفخامة ، صدقاً وعدلا .... سعادة وإشراقاً .
وطالعت مئات المجلات والجرائد والدوريات والصحف فما رأيت كالسنة عطاءً وبركة ، وسلوةً وعزاء، وتوعية وتربية ، ورشداً ونصحاً ، وتعليماً وتقويما ، ...
وسمعت آلاف الكلمات ، وآلاف الأبيات ، وآلاف اللطائف ، وآلاف النُكات ، فما وجدت كذكر الله إيماناً ويقيناً ، وروحاً وطمأنينة ، وأنَساً ورحمة ، وثواباً وأجرا .

أما بعد :
فإن الداعية قد يكون غنياً كسليمان ، وقد يكون فقيراً كعيسى ، وقد يكون صحيحاً كإبراهيم ، وقد يكون مريضاً كأيوب ، وقد يطول عمره كنوح ، وقد يقصر كيوشع ، وقد يكون ملكاً كداود ، وقد يكون خياطاً كإدريس ، وقد يرعى الغنم كموسى وقد تمر به الحالات جميعاً من غنى وفقر ، ونصر وهزيمة ، ونعيم وبؤس ، وصحة ومرض ، وعافية وبلاء كمحمد - صلى الله عليه وسلم.
لأجل دينك ذاق القتل مـن قتلـوا كأنما الموت في ساح الوغى عسل
ترى المحبين صرعى في ديارهم كفتية الكهف للرضوان قد نقلـوا
وقد يكون الداعية واسع الخير ، متعدد المواهب ، كثير الإحسان ، عظيم البر، كأبي بكر الصديق ، وقد يكون صارماً حازماً قوياً شديداً في الحق ذا صولة في الدين ، ذا هيبة في الملة كعمر بن الخطاب ، وقد يكون هيناً ليناً سهلاً قريباً حبيباً حيياً سخياً كعثمانَ بن عفان ، وقد يكون مقداماً شجاعاً ، أبياً مضحياً فدائياً بطلاً كعلي بن أبي طالب . وقد يكون الداعية بحراً في العلم ، دائرة معارف ، موسوعة في الشريعة كابن عباس ، وقد يكون خطيباً لوذعياً يرسل الكلمة كالقذيفة ، ويبعث الحرف كالشهاب ، ويطلق الجملة كالبركان كثابت بن قيس بن شماس . وقد يكون الداعية شاعراً يرسم الحرف في القلب ، ويصنع البيت كالضياء وينسج القصيدة كقطعة الماسِ كحسان بن ثابت .
وقد يكون للداعية حشم وخدم ، ومال وجمال ، وعيال كعبد الرحمن بن عوف ، وقد يكون الداعية فقيراً معدماً ، لا بيت ولا قصر ولا دار ولا عقار ولا دينار كأبي ذر ، وقد يتولى الداعية الإمامة كمعاذ ، والقضاء كعلي ، والأذان كبلال ، والمواريث كزيد ، والقيادة كخالد ، والإمارة كأبي عبيدة.
وقد يتكلم الداعية من بلاط السلطان كالزهري. وقد يتحدث من القبو كالسرخسي، وقد يُبجَّل ويُحتفى به كمالك بن أنس ، وقد يذهب دمه هدراً ، ورأسه شذراً كأحمد بن نصر الخزاعي.
الداعية كالهدهد قطع الفيافي والقفار ليبلّغ رسالة الواحد القهار ( ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض). وكالنملة يحذّر قومه ، وينذر بني جنسه (لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون).
وكالنحلة يجمع أطايب الحديث ، ويكنز أحسن المعرفة (ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا)

فيا حب زدني في هواه صبابـة ويا قلب زدني في هوى مهجتي حبا
لعلي إذا جئت المحصب من مني سخرتُ فؤادي كـي أفوز به قربـا

إن أهم صفة في الداعية أنه صاحب مبدأ ، وحامل رسالة ، وله منهج ، قد يغلظ أو يرفق ، يقسو أو يلين ، يُقبل أو يدبر ، يواجه أو يهادن ... لكنه صاحب مبدأ .
قد يحاور ويفاوض ، ويردُّ ويَقبل ، ويأخذ ويعطي ، ويغضب ويرضى ، ولكنه صاحب مبدأ ...
له ثوابت لا يتخلى عنها ، وربما تنازل عن الحواشي ليبقى الأصل ، وربما ترك التعليق ليبقى المتن ، وربما تخلى عن الإطار لتبقى الصورة .
الداعية هو الناطق الرسمي للملة (وقل الحق من ربكم) ، والسفيرُ الأول للشريعة (إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيرا) والمندوب الدائم لمحمد (نضّر الله امرءاً سمع مني مقالة فوعاها ، فأداها كما سمعها).
والأمين العام للقيم (إن خير من استأجرت القوي الأمين).
الداعيـة له في كل قلب سفارة ، وفي كل عقل محطة ، وفي كل مجلس قناة ... الداعية تقرؤه في الصحيفة ، وتطالعه في المجلة ، وتنظر إليه في الشاشة ، وتصلي وراءه في المحراب وتسمعه على المنبر ، وتلقاه في السوق ، وتصافحه في الحديقة ، وتجلس بجانبه في الحافلة ، وتعانقه في الطائرة. وتقاتل وراءه في المعركة ، وتراه في العرس ، وتشاهده في الجنازة .
يصافح الملك ، يمسح رأس اليتيم ، يرفق بالرئيس ، يعطف على الأرملة ، يمازح الشاب ، ويقود العجوز.

الداعية يرسل كلمته على ذبذبة طولها الحق ، وعرضها الصدق ، على هواء الإبداع ، وعبر أثير المحبة لتستقبل كلمته أطباق القلوب ، وتنقلَ عبارته موجاتُ الأرواح .
والدعاة درجات عند الله ، فمنهم من يحبو ، ومنهم من يمشي ، ومنهم من يهرول ، ومنهم من يمرُّ مرّ السحاب ، ومنهم من يسرع سرعة الريح ، ومنهم من يحلق في سماء الإبداع فيرتفع عن سطح الدنيا سبعة وثلاثين ألف قدم من الصدق والرفق والحق والعدل والعلم والإيمان .
إن أنت كنت بكيت من حر الجوى وسكبت في ليـل الفـراق دمـوعا
فنفوسنا ذبحت على ساح الوغـى يا من يرى صرعى السيوف هجوعا

أما بعد :
فإن هم الداعية إصلاح الناس وتعبيد البشر لله ، لتكون كلمة الله هي العليا ويكون الدين كله لله، فليس همه المال ولا الجاه ولا المنصب لأنه مكلف بمهمة محددة (أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون) ، وعنده رسالة عليها طابع (ما أريد من أجر) وعنوانها ] قولوا لا إله إلا الله تفلحوا [ يوزعها في كل قلب (وإنك لعلى خلق عظيم) .
الداعية حبيبه من أحب الله ، ووليه من تولى الله ، وصديقه من احترم الشرع ، وعدوه من عادى الإسلام . ليس عند الداعية وقت للعداوات الشخصية ، ولا فراغ لتوافه الأمور ، فكل دقيقة من عمره حسنات ، وكل ثانية من وقته قربات .
أعـد الليالي ليلة بعـد ليـلة وقد عشتُ دهراً لا أعد اللياليا
فإما حياة نظـم الوحي سيرها وإلا فموت لا يسـر الأعاديا

الداعية ينهمر بالآيات والأبيات والسير والعبر والقصص والأخبار والفوائد والقصائد والشوارد والفرائد يدعو بها كلها إلى الله ليُعبد الله وحده لا إله إلا الله .
فمرجع الداعية قلبه النابض ، ومصدره نفسه المشرقة ، وحبره دمه ، ومادته دموعه ، وورقه خصال الخيرُ وصفاتُ النبل التي يحملها .
الداعية لا ينسى دعوته ، وهل ينسى المريضُ مرضه والجائعُ جوعه ، والمحمومُ حُمَّاه ، وكيف يترك الداعية دعوته ، وهل يترك الرسام ريشته والنجار فأسه والفلاح مسحاته ، والكاتب قلمه.
وقد عاهدتني يا قلبُ أنّي متى ما تبت من ليلى تتوب
فها أنا تائب من حب ليلى فمالك كلما ذكرتُ تذوب؟!
لكل شيْ إذا ما تمّ نقصان إلا الإيمان في قلب حامله .

لكل امرء من دهره ما تعودا
وعادة أهل الحق يا صاحبي الهدى
وما مضى فات والمؤمل غيب إلا عند الداعية فالماضي ما فات ولا مات (علمه عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى) والمؤمَّل عنده حاصل لا محالة ، قادم بلا شك (ثم لترونَّها عين اليقين).
نشيد اللاهين : قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل .
ونشيد الدعاة : قفا نبك من ذكر الكتاب المنزل .
أغنية الغافلين :
أخبروها إذا أتيتم حماها
أنني ذبت في الغرام فداها
وملحمة الصالحين:
أيقظوا النفس من سُبات مناها
فإلى الله ربِّنا منتهاها
وقفة إجلالٍ لذي الجلالِ والجمالِ والكمالْ
قال موسى لربه (ربِّ أرني أنظر إليك).
قال (لن تراني).
(ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني).
(فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا).
وخرّ موسى صعقا).
(فلما آفاق قال سبحانك تبتُ إليك وأنا أول المؤمنين).
يا أيها الناس: إني داع فأمنوا:
اللهم اجعلْ مكانَ اللوعةِ سلوةً ، وجزاءَ الحزنِ سروراً ، وعند الخوف أمناً.
اللهم أبْرِدْ لاعجَ القلبِ بثلجِ اليقين ، وأطفئْ جمرَ الأرواح بماءِ الإيمان. يا ربّ ألقِ على العيونِ الساهرةِ نُعاساً أمَنةً منك ، وعلى النفوسِ المضطربةِ سكينةً وأثِبْها فتحاً قريباً.
يا رب أهدِ حيارى البصائرِ إلى نورك ، وضلاَّلَ المناهجِ إلى صراطِك ، والزائغينَ عن السبيلِ إلى هداك.
اللهم أزلِ الوسواسَ بفجرِ صادقٍ من النور ، وأزهِقْ باطلَ الضمائرِ بفيلقٍ من الحق ، ورُدَّ كيدَ الشيطانِ بمددٍ من جنودِ عونِك مسوّمين.

اللهم أذهِبْ عنا الحزنَ ، وأزِلْ عنا الهَمَّ ، واطْرُدْ من نفوسِنا القلق.
ونعوذُ بك من الخوفِ إلا منك ، والركونِ إلا إليك ، والتوكلِ إلا عليك ، والسؤالِ إلا منك ، والاستعانةِ إلا بك ، أنت وليُّنا ، نعم المولى ونعم النصير.
اللهم حقق الآمالَ ، واصلح الأعمالَ ، وحسِّن الأحوالَ ، وسددِ الأقوال.
اللهم اجمعْ شملَ الأمةِ ، واكشفِ الغُمَّة ، وانصرْ الدينَ وأتمَّه.
الهم أصلحْ القلوبْ ، واغفرْ الذنوبْ ، واستر العيوبْ ، واقبل توبة مَنْ يتوب ، اللهم أجزلْ العَطية ، واغفرْ الخطية ، وأحْيِنا حياةً رضيَّة ، ونسألك المِيتة السويَّة ، اللهم ألهِمْنا الحجة ، وثبتْنا على المحجَّةِ ، ويمِّنْ كتابَنا ، ويسِّرْ حسابَنا.
اللهم اشفِ منَّا العِلَلْ ، واغفرِ الزَّلَلْ ، وادرأ عنا الكوارثَ ، واحمِنا من الحوادث.
اللهم أذهِبْ الشكَّ باليقين ، وألبِسْنا ثوبَ الدين ، وانصُرً إسلامَنا ، وارفعْ أعلامَنا وثبِّتْ أقدامَنا ، وسدِّدْ سهامَنا ، اللهم بلِّغْ رسولنا عنا الصلاةَ والسلامَ ما غيثٌ هَمَع ، وبرْقٌ لَمَعْ ، وظبيٌ سَنَحْ ، وبلبلٌ صَدَحْ ، اللهم آتهِ الوسيلة ، وامنحْه الفضيلة ، وابعثه مقاماً محموداً ، وأعطِهِ حوضاً موروداً ، وأجبْ شفاعتَه ، وأكرمْ وفادتَه ، يا رب إن البشر اعتزُّوا بأنسابهم ، وافتخروا بأحسابهم ، وعزُّنا وفخرُنا بك ، فلا نكن أشقى منهم بك.
يا رب إنهم جمعوا الأموالَ ، وادَّخروا الكنوزَ ، واحتاطوا بالذهبِ والفضة، ومالَنَا وكنزُنا وميراثُنا دينُك وذكرُك ، اللهم فاعنِنا يوم الفقرِ الأكبر حتى نكون بك أغنى منهم بأموالهم.
يا رب إن البشرَ مَدَحَ بعضُهم بعضاً وأطرى بعضُهم بعضاً ، ورَفَعَ بعضُهم بعضاً ، ومدحُنا وثناؤنا وتبجيلُنا لك وحدك ، اللهم إنهم أمَّلوا من ممدوحيهم جوائزَ وأوسمةً ، وعطايا وهدايا ، اللهم فاجعلنا أكثرَ منهم حظاً بجوائزك ، وأوسمتِك ، وعطاياكَ ، وهداياكَ.
اللهم إنا رأينا مَنْ رَكَن إلى محبوبه ، وأنِسَ بمرغوبه ، وفزع إلى قريبه ، واعتمدَ على صاحبه ، اللهم إليك فزعْنا ، وعليك ركنَّا ، وبك وثقنا ، وعليك اعتمدْنا ، الله فاجعلنا أسعدَ بك من القريبِ بقريبه ، ومن الصاحبِ بصاحبه ، ومن المولى بسيدِه.
اللهم إنا رأينا الرؤوسَ تخضعُ لسواك ، والجباهَ تسجدُ لغيرك ، والألسنة تقدِّسُ البشر ، فغضبْنا لذلك ، وأزعجَنَا ذلك ، فلك خضعتْ رؤوسنا ، وسجدتْ جباهُنا ، وذلَّتْ رقابُنا ، اللهم إنا نسألك الغنى يوم الفقر ، والعزَّ يوم الذُّل ، والنجاةَ يوم التغابن.
اللهم أخلص النيةَ ، وأصلح الذريةَ ، ووفِّق الراعي الرعية ، نسألك رضى لا يكِّدرُه سُخط ، وسروراً لا يشوُبه حُزْن ، وفرحةً لا ينغِّصُها تَرْحَة ، وسعادةً لا يعكِّرها شقاء.
سبحانَ ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .
سبحانك الله اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك.
وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

عائض بن عبدالله القرني
١٤٢٢/١١/١٥هـ